فاعلية الجسد في صناعة التجربة الذوقية

.الأستاذة: ماني سعادة نادية
.المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان

ملخص :

يشير هذا العمل إلى ضرورة فهم فاعلية الجسد في صناعة التجربة الدوقية ، ودوره في إبراز المعالم والممارسات المنهجية من أجل الحصول على مشاهدة صوفية وجدانية، ولعل النقطة الجديرة بالدراسة والاهتمام في هذا المقال هي استخلاص التصورات المتعلقة بطبيعة الجسد ومهمته في إدراك العرفان الصوفي، وعليه طرحنا بعض التساؤلات من أجل إثبات أن هناك صلة وثيقة بين القوى الجسدية و القوى الروحية التي من أجلها تحدث عملية التصوف، فطرحنا تساؤلات عن المنهج الذي يستعمله الصوفي من أجل بلوغ الحقيقة القصوى؟ هل يمكن الاكتفاء بالروح كمنهج وكمسلك للإرتقاء إلى قمة السعادة والكمال؟ هل يمكن الاستغناء عن الجسد في هذه العملية الصوفية؟ ماهي العلاقة الموجودة بين النفس والجسد وبين الروح والجسد؟ وما موقف المتصوفة من الجسد ؟ و لا يمكننا الإجابة عن هذه التساؤلات دون أن نكون رؤية واضحة عن المنابع الأولى للتصوف الإسلامي، وطبيعة المعرفة الصوفية وخصائصها العامة مع الإشارة إلى أهم الأسماء البارزة في هذا المجال و تسليط الضوء على أهم الآراء لبعض المتصوفة أمثال ابن عربي،الغزالي،شهاب الدين الشهروردي ،أبي قاسم القشييري و غيرهم من أعلام التصوف الإسلامي الخالص.

الكلمات المفتاحية: الروح، النفس، الجسد، التصوف، المتصوفة، الزهد، المجاهدة، الحقيقة، الرياضة، المجاهدة، التجلي، الانكشاف.

Résumé : ce travail nous montre l'efficacité du corps pour arriver à une expérience gustative, et son rôle pour illustrer les pratiques méthodologiques pour obtenir une contemplation mystique , et le point le plus important dans cette étude c’est s’avoir conclu des concepts ont une relation avec la nature du corps et sa fonction de perception une connaissance mystique , donc nous avons soulevé quelques questions afin de prouver qu'il existe un certain lien entre les forces physiques et les forces spirituelles pour lesquelles le processus de forces mysticisme se produisent, et on apposé

des questions sur la méthode utilisé par les soufismes afin d'arrivé à une vérité suprême ,est ce que la méthode spirituelle et suffisante pour s'élever au sommet de la perfection et du bonheur ?est ce qu'on peut négliger le corps dans cette opération mystique ? Quelle est la relation qui existe entre le corps et l'âme et entre l'esprit et le corps? Quelle est la position des soufismes en vers le corps ? Et nous ne pouvons pas répondre à ces questions sans obtenir une vision claire sur les premières sources de mysticisme islamique, et la nature de la connaissance mystique et ses caractéristiques générales ainsi que les plus grands noms dans ce domaine et mettre en évidence les avis les plus importants de certains soufismes comme Ibn Arabi, Al-Ghazali, Shihab al-Din Alchehrorda, Abi Qasim Al-Qusheiry et d'autres mystiques islamiques purs.

مقدمـــــة:

يتألف كل انسان منا من جوهرين مختلفين ومن جانبين متضادين؛ جانب مادي حسي ظاهري وهو الجسد، وجانب روحي جوهري باطني وهو النفس، لتصبح مسألة الفصل بين النفس والجسد مشكلة معقدة تكررت بشكل أو بآخر في المجتمعات والثقفات الإنسانية برمتها قديما وحديثا. وكثيرا ما يرد الجسد في هذه التشكيلة الثنائية إلى صفات معينة مختصة به على أساس أنه جوهر جسماني طبيعي ذو طعم ولون ورائحة وثقل وخفة وسكون ولين وخشونة ومجاله هوالمجال المادي، باعتباره يتحدد كصيغة للحضور المادي الإنساني. أما النفس فهي ذات طبيعة غير متعلقة بججم المادة التي يتكون منها الجسد ولا بأبعادها ولا بخواصها باعتبارها حقيقة متميزة عن الجسد الذي تنشط من خلاله، ولقد ميز فلاسفة اليونان والعرب بين النفس و أفعالها فقالوا: إن النفس متحدة بالجسم ولكنها غير حالة فيه. أما أفعال النفس فلها مراكز على أن هذه المراكز خاصة بقوى النفس الحيوانية دون النفس الناطقة منتشرة في الجسم كله، وموجودة كلها في كل اجزاء الجسم**(1)**. ولعل ما يهمنا في هذه الدراسة وما نريد أن نلفت إليه الأنظار باختصار هو التساؤل عن موقف المتصوفة

1- مرا وهبه،المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، س *2007*،ص 650.

من الجسد منهجا وموضوعا، خاصة اذا علمنا أن معظم دلالات ومعاني التصوف "تدل على الأعمال الباطنة والتي هي أعمال القلوب."**1** أي كل ما له علاقة بالجانب الروحي لا شأن للجسد به، على أساس أن هذا الجانب هو ظاهرة روحانية خاصة ومعرفة ذوقية كشفية إلهامية باطنية تأتي القلب مباشرة، يحياها الصوفي دون إعمال العقل ودون إستخدام الحواس وأنه معرفة فردية ونشاط روحي خاص من الأمور الروحانية التي تستعصي على الوصف وتعلو على التعبير عنها أو ترجمتها بالألفاظ. هذا ما أكده أبو حامد الغزالي الأشعري الفيلسوف والفقيه الصوفي، *بأن "المعرفة الصوفية هي المعرفة القلبية المباشرة التي تعرف بها جميع حقائق النبوة وأصول الدين وهي الطريق الصحيح للإيمان* والتي لا يمكن الوصول إليها بالتعلم بل بالذوق والسلوك وتبذل الصفات."**2** وفي نفس السياق يعرف "الكلاباذي" التصوف بقوله: مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار وعرفه "النفتزاني" "بأنه تجربة ذاتية تختص بالترقي في مدراج الكمال الأخلاقي وهو نقطة البدء ثم الفناء في مدراج الحقيقة المطلقة."**3** كما يرى أيضا أنه خط مشترك بين كل الأديان وأن كل صوفي يعبر عن تجاربه الباطنة في ضوء أصوله الإعتقادية من ناحية والحضارة التي ينتمي إليها من ناحية أخرى. ويقر "ذو النون المصري" بأن الصوفي إذا نطق فإن نطقه كان عن الحقائق، وإذا سكت نطقت جوارحه بقطع العلائق، أي أن الصوفي هنا يجد نفسه بين حالتين إما أن يتكلم الحقيقة بلسان أهل الباطن أو يلزم الصمت فتنطق جوارحه بما يدل على قطع علائقه عن هذا العالم.**(4)**- إنطلاق من هذه التعريفات نستخلص أن أغلب المختصين في الدراسات الصوفية يرون بأن التعريف الجامع للتصوف هو ما قاله **"أبو بكرالكتاني"** على ،أن التصوف صفاء ومشاهدة

1- مرادوهبة ،يوسف كرم،المعجم الفلسفي عربي إنجليزي فرنسي، دار الثقافة الجديدة للطباعة والنشر و التوزيع،ط *1971*،*2*،ص *56*

2- الموسوي ضياء مجيد،غاية التصوف وأدوات المتصوف،مؤسسة كنوز الحكمةدط،س *2011*،ص *109*

3- أحمد محمود الجزار،قضاياوشخصيات صوفية ،منشأة المعارف،الإسكندرية،دط، *2001* ،ص *8079*

4- عبد الفتاح أحمد فؤاد،عبدالقادر الجيلاني ،شيخ كبير من صلحاء الإسلام ،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،دارا لثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،المغرب،ط 1،1993،ص 16

إذ أن الصفاء طريق لتطهير الروح والقلب من الأشياء الزائلة، أما المشاهدة فهي الغاية لرؤية وجه الله الكريم."1 ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله **"عمروبن عثمان المكي"** ومعنى ما قاله: **"**أنه تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها شر وإنقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء بتوالي البروق فيها واتصالها إذ قدرت تصير في ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دام التجلي متع نهاره فلا ليل**"2** والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن كيف يمكن للجسد المادي أن يكون منهجا أو وسيلة لفهم المعاني الذوقية الذاتية خاصة إذا علمنا أن كل من المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة لا تتم إلا إذا كان مصدرها الروح؟

موقف المتصوفة من الجسد: إن تفضيل الأمور الباطنة كالنفس والروح والقلب عن الجسد هو موقف يرتبط بالتصور العام للمتصوفة المسلمين، الذين ميزوا في الإنسان بين ماهو ظاهري وما هو باطني نفسي واعتبروا هذا الأخير هو الجانب الأرقى لأنه يتسم بالطهارة التي هي نوع خاص من النظافة، نظافة سماوية إلهية مقدسة تفرضها الشرائع و ترعاها الأديان، وبالتالي فإن الإنسان لا يمكنه أن يحقق السعادة إلا من خلال إنفصاله عن شهواته ونزواته التي يمثلها الجسد أحسن تمثيل، وهذا الموقف نجده عامة لدى فلاسفة اليونان، وخصوصا عند أفلاطون الذي كان أثره في التصوف الإسلامي واضحا، إذ اعتبروه شيخا من شيوخهم بالرغم من أن أفلاطون ليست له تجربة صوفية، ولكنه عرف عند المسلمين من خلال الأفلاطونية المحدثة كصاحب تربة صوفية، وعرفت نظريته في خلود النفس من خلال محاورته، وكيف دعى إلى تحقير الجسد وملذاته لأنه في نظره يعتبر عائق كبير للوصول إلى الحقيقة التي تهفو إليها النفس وذلك بسبب مطالبه المستمرة. إضافة إلى هذا قد يتسبب الجسد في إرتكاب أنواعا من الحروب والخلافات والمعارك الناتجة عن إشباع الشهوات وحب إمتلاك الثروات وفي هذه الحالة وبمطالبه هذه، سوف لن يدعنا نحيا

محمد جلال أشرف،دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومداهب،دار النهضة للنشر والتوزيع،بيروت، دط،1987،ص-1 165
الموسوي ضياء مجيد،غاية التصوف وأدوات المتصوف،مؤسسة كنوز الحكمة،دط، *2001*،ص *57* -*2*

حياة التأمل والفكر التي هي الغاية المرجوة، ولن نستطيع أن نعرف شيئا يتعالى عن الأمور الدنياوية ونحن تحت رحمته.

هذا ويرى المتصوفة أن النفس من طبيعة إلاهية طاهرة وشريفة وأنها أصبحت مهمومة ومتعوبة بحلولها بالجسد وعندما استعملت لخدمته ولتلبية مطالبه الشهوانية الحيوانية، لهذا شاع بينهم ضرورة التخلص والتحرر من قيود الجسد والفرار من عالمه الحسي وذلك بالتشوق إلى الموت والتحلي بالزهد واللجوء إلى تعذيبه وحرمانه من رغباته الدنياوية كالعيش في جوع وعطش، في صمت وسهر، في خلوة واعتزال، في البراري والقفار وغيرها من الأمور التي تقوم بإذلاله وقهره "لأن السعادة الحقيقية في نظرهم لا تتم إلا بالتخلص من أسر الدنيا وقيد الهيولى وترك الشهوات المادية ثم السفر بالنفس من العالم الظلماني إلى العالم العلوي موطنها الأصلي"**1** إذن ضرورة تهذيب الأخلاق عن طريق الفصل المحقق للنفس عن الجسد أمر مفصول فيه عند المتصوفة بإعتبار أن النفس جوهرة سماوية وعالمها عالم روحاني، وهي حية بذاتها غير محتاجة إلى الأكل والشرب واللباس و المسكن في نظرهم، إن كل ما تحتاج إليه من أغراض إنما هو من أجل هذا الجسد المستحيل الفاسد"**2** لإصلاحه وقوامه وجر المنفعة إليه ودفع المضرة عنه وإن النفس دون مفارقته لا راحة لها لأنها متعوبة بكثرة همومها لإصلاح أمره. هذا ما أكده "الغزالي" و"إبن مسكويه" في القول "بأن النفس جوهر أو هي ذات روحية تفيض من العالم الأعلى على الجسد فتكسبه الحياة والحركة والعلوم والمعارف حتى تستكمل، وهي جوهر مغاير للجسد تماما."**3** إنها جوهر مجرد عن المادة وليست بجسم ولا تحل الأجسام بل هي محل المعارف وبها شرف الإنسان عن جميع الحيوانات وهو مستعد للقاء الله تعالى."**4**

1- الليث صالح محمد عتوم،الفكر الانساني عند ابن سينا وابن طفيل،عالم الكتب الحديث،الأردن، ط 1،س 2014، ص 227
2- نفس المرجع السابق ،ص 27 .

فاروق عبد المعطي،نصوص ومصطلحات فلسفية ، دار الكتب العلمية،بيروت ،ط 1، س 1993،ص 60 --3
عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم ،المذاهب الصوفية ومدارسها ،مكتبة مدبولي ،دط،دس ،ص 125-4

ويرى العلامة الأصفهاني أن وجود النفس في الإنسان أمر واضح، وأن الإنسان فيه جانب مادي وجانب روحي إلا أن الأولوية للجانب الروحي لأنه هو الذي يلعب دورا مهما في تقرير السلوك الذي يحقق الخيرأو الشر والذي يترتب عليه السعادة أو الشقاء ويرى كذلك أن الإنسان بإعتباره كائنا مركبا من جانب مادي وجانب روحي في منزلة وسط بين البهيما والملك. فشبهه للبهائم بما فيه من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمنكح وشبهه للملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والوجود."1 ولكن هناك إتجاه من المتصوفة ينكر جوهرية النفس وروحانيتها ووجودها منفصلة عن الجسد، وهنا نقع في إشكال آخر على أساس أن النفس هي التي تتصرف بالجسم وأعضائه وليس العكس، فأنت بنفسك إن شئت نظرت وشممت وسمعت ولمست وفعلت، وإن لم تشأ لم يكن من ذلك شيء فالسلطان للنفس على الأعضاء لا سلطان الأعضاء على النفس بحال، ومن هنا كانت هي الفاعلة ، وكان الجسم آلة وأداة لاغير."1 **طبيعة النفس من طبيعة الجسد:** للصوفية مفهوم خاص للنفس لا يستند إلى المعاني اللغوية الفلسفية المتعددة للكلمة، وإنما يستمد من جملة أصول شرعية وردت في الأيات القرآنية مثل قوله تعالى **:"وما أصابك من سيئة فمن نفسك "** وقوله أيضا **:"إن النفس لأمارة بالسوء"**وقوله كذلك **"فتوبوا إلى بارئكم فأقتلوا أنفسكم "** إنطلاقا من هذه الأيات الكريمة يتضح معنى أن النفس هي محل الأوصاف المذمومة وهي الجسد بعينه، هذا ماأكده أبو هديل العلاف المعتزلي في قوله **:"**النفس معنى غير الروح والروح غير الحياة وأنالإنسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة"2 أي دون الجسد. ولهذه النفس جبلات وأوصاف يذكرها المكي حين يقول: "إن جبلات النفس أربع....الضعف (وهو مقتضى فطرة التراب) والبخل(مقتضى جبلة الطين) و الشهوة(مقتضى الحمأ المسنون) والجهل(مقتضى الصلصال) وأوصافها

موساوي ضياء المجيد، المرجع نفسه، ص 42 -1
نفس المرجع السابق،ص 25 -2
3-فاروق عبد المعطي، المرجع نفسه، ص 61.

أيضا أربعة معاني الربوبية (الكبر والعز وحب المرح) وأخلاق الشياطين (الخداع و الحيلة والحسد) وطباع البهائم(حب الأكل والشرب والنكاح)وخصال العبيد(الخوف والذلة)"1 وهكذا تكون النفس هي مصدر كل الأفعال المذمومة من المعاصي والأخلاق الرديئة وهي كما كان **"البسطامي"** يدعوها موطن كل شر ولم يخرج **"الترميذي"** بمفهوم النفس عن هذا الإيطار، فهي مطبوعة عنده على الغفلة و الشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب فهي نافرة ناشزة كارهة، تستقتل العبادة والسير في طريق النجاة وتركن إلى الشهوات وتفرح بالمطالب والرحات فرحا يظل يجري في العروق كما يجري السم حتى

يميت القلب."2 ويبين لنا "فخر الدين **الرازي**"ما هبة النفس بقوله: "النفس الإنسانية شيئ واحد وهي المبصرة والسامعة والشامة والدائقة واللامسة و هي الموصوفة بعينها بالتخيل والفكر والتذكر وتدمير البدن وإصلاحه."3 وهكذا نرى أن أغلب التصويفات تحذر دوما من ترك العنان للنفس، فإن خطرها يزداد إذا تركت و شأنها ولم تقهر شهواتها و نزواتها. و تكلم **"الجنيد"** عن هواجس النفس فقال: بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم إنها تعاودك وتعاودك.وقال أيضا :**"**النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء، المتعبة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء**"4** أما **"إبن عطاء"** فأشار إلى النفس على أنها "مجبولة على سوء الأدب والعبد، مأمورة بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالة، فمن أطلق عنانها فهو شريكا معها في فسادها"5 وفي هذا المقام يقول الإمام **"الجيلاني"** أن النفس **"**عمياء خرصاء جاهلة بربها، طبعها الركون إلى الرياء والنفاق وباطل الإدعاء وحب المدح.**"6** ومن هذا المنطلق نجد الكثير من الصوفية الذين تحدثوا بوضوح عن ماهو أعلى وأشرف من النفس.

زيدان يوسف محمد وفي،دطه،الطريق الصار الجيل،بيروت،ط 1،1991 ص 63 --1
المرجع نفسه ،ص 62-2

عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم ،المذاهب الصوفية و مدارسها ،مكتبة مدبولي ،دط،دس ،1251- -3
.موساوي
موساوي ضياء المجيد،المرجع نفسه ،ص، 71-4
.المرجع نفسه ،نفس الصفحة -5
زيدان يوسف محمد طه،المرجع نفسه ،ص 64 -6

سلطان الروح على النفس والجسد : يعتبر التصوف ظاهرة روحانية خاصة يحياها الصوفي فهي عبارة عن معرفة كشفية ذوقية إلهامية باطنية تأتي القلب مباشرة دون إعمال العقل ودون إستخدام الحواس، كما أنها عملية فردية ونشاط روحي خاص يستعصى على الوصف ويعلوا على التعبير عنه أوترجمته بالألفاظ. والمقصود هنا أن من أهم الأشياء التي وجب على السائرين تجاوزها في طريقهم نحو السمو الروحي هو الجسد وكذلك النفس وهذا من أجل تحرير الروح من ربقتهم، بل قيل أنه لا يكون الإنسان روحانيا إلا إذا تخلص من العلائق البدنية والنفسية وسئل أحد العارفين عن أسباب ثقل الجسد حين مغادرة الروح له أجاب:أن الجسد مشتد ومنجذب إلى أصله الأرض. ويرى **الترميذي** ضرورة تطهير الروح من دنس النفس فالروح خفيفة سماوية وإنما ثقلت إذا اشتملت النفس عليها بظلمة شهواتها و إذا رضيت النفس وحصل الخلاص منها عادت الروح إلى خفتها وطهارتها و كأن لها شأن لا يؤمن به إلا كل مؤمن قلبه بالله مطمئن"1 هذا وقد وضح القشيري بأن هناك نوعان الروح والنفس، والنفس غير الروح بقول**ه: "**النفس محل الأفعال المدمومة والروح محل الأوصاف الحميدة."2 ومن هذه التعريفات نستخلص أن النفس غير طبيعة الروح، فهما متباينان مظهرا وجوهرا **"**فالروح بارد و النفس حارة والروح سماوي والنفس أرضية والروح عادتها الطاعة والنفس عادتها الشهوات.**"3** والروح ترجع إلى الجانب الأعلى من الوجود الذي يفيض عنه الجانب الأسفل الذي هو المادة والنفس وبالتالي التصوف روح وإلهام و إشراق فلا يدخل في مجال المادة وإذا عجزت النفس عن دراسة التصوف في حقيقته وجوهره وعجز الجسد المادي كذلك فإن الصوفية جميعا وفلاسفة الإشراق من فيثاغورس و أفلاطون إلى الآن يعلنون منهجا محددا يقرونه جميعا ويثيقون فيه هو المنهج الروحي أومنهج البصيرة وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث ثم هو منهج جربه الإمام الغزالي فنجح وعنه يقول : "وانكشف

النجار عامر، التصوف النفسي، الهيئة المصرية العامة،دط،س 2002ص،60 --1
عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم ،مرجع سبق ذكره،ص 1251 -2

المرجع نفسه، الصفحة نفسها -3

لي أثناء هذه الخلوة أمور لايمكن احصاؤها و استقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به، أني علمت يقينا أن الصوفية سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، و أخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شئا من سيرتهم و أخلاقهم و يبدلوه بماهو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس ورانور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به."1 إذن لا شك من أن التصوف يعتمد على الكشف والإلهام و الحدس الباطني من أجل بلوغ المعرفة الذوقية والسعادة الأبدية التي لا تحصل إلا عن طريق الإشراق والحضرة الإلهية وعلى هذا الأساس تم تقديم المجاهدات والرياضات البدنية والنفسية حتى يتهيأ القلب لاستقبال العلم اللدني الذي يهبه الله تعالى لخاصة عباده و يقذفه في قلوبهم مباشرة فينير أمامهم طريقهم إلى الحق للوصول إلى الحقيقة التي ينشدها كل صوفي صادق. إذن ما يمكن استخلاصه أن هذه المعرفة الذوقية المباشرة لا تتم إلا على أساس المواظبة على فعل العبادات ليصبح التصوف هنا عملية عبور من الجسد إلى الروح وعليه استلزم علينا أن نطرح بعض التساؤلات ،إلى أي مدى يمكن للجسد أن ينجح في أداء مهمته الصوفية ؟ وماهي العلاقة الموجودة بينه وبين الروح ؟ أي كيف يمكن للجسد المادي أن يكون وسيلة لفهم المعاني الذوقية الذاتية؟

الجسد امتحان فاعلية التجربة الذوقية: يشير هذا العنصر إلى ضرورة معرفة و فهم فاعلية الجسد ودوره في صناعة التجربة الذوقية، وكما يقول الشيخ أحمد زروق في سرحه على الحكم في تعريف التصوف، أنه بمنزلة الروح والفقه جسده إذ لا ظهور له إلا فيه كما لا قيام للجسد إلا به. فطهارة الروح من طهارة الجسد ونجاسة الروح من نجاسته فغالبا ما تتحول الأوضاع الجسدية إلى منازل روحية عن طريق العبادات والطقوس الدينية، وبفعل هذا التحول يعتبر أهل التصوف الجسد محطة الروح التي إن حلت فيه تنقله إلى

محمود عبد الحليم، قضية التصوف المدرسة الشادلية،دار المعارف ، ط 2،1988، ص 423 -1

مرتبة الكمال. فإذا كانت الشرائع تنظم الجسد وشهواته، فإن الجسد المهيأ لإحلال الروح الإلهية فيه يسمو إلى عالم الكمال، ويصبح إذ ذاك قادرا على تنظيم نفسه تلقائيا من دون الرجوع إلى الشرائع."**1** ولو استعرضنا جميع الممارسات الدينية والمحطات الروحية التي تدعو إلى العناية الإلهية لوجدناها تترافق مع الحضور الجسدي بشكل واضح ، ففي كثير من الأحيان يقودنا الجسد آمنين في بحار التصوف اللامحدودة وفي رياضه التي لاتنتهي من حيث كونها نفحات من التجليات الإلهية. وبالرغم من أن الجسد لايدور إلا في فلك المادة إلا أنه يتسامى بصاحبه إلى السماء عن طريق الأحوال والمقامات إنسجاما مع ما يظهره من أوضاع جسدية مميزة. إن الإنسان المتصوف هو ذات متجسدة في الواقع قبل أن يكون ذات نفسية مفكرة فعلاقة المتصوف بجسده تتعلق بالإحساس والشعور أكثر مما تتعلق بالكشف والذوق، ويمكن القول أن إحتقار الجسد واستبعاده من خريطة المعرفة واعتباره شر وبهيمة، وفصله عن النفس والروح، وانكاروجوده، لا هو من الآثار الميتافيزيقية التي تركتها التصورات الفلسفية والأخلاقية والدينية عبر مراحل تاريخية طويلة، ولكن من خلال دراستنا للنسيج الصوفي الإسلامي نجد أن من أبرزالسمات المشتركة بين الطرق الصوفية المختلفة لا تظهر إلا بالجسد ، كلبس الخرقة مثلا، الذي يعتبر شعار المتصوفة ودليلا للمبايعة والدخول في الإرتباط بين الشيخ والمريد وفي هذه الحالة لا يمكن تجاهل الجسد و الحط من قيمته بل يعتبر شرطا أساسيا من أجل اتباع الطريق الصوفي. وانطلاقا من هذا المبدأ نرى أن الشيوخ الكبار يتقنون فن الاحتفاظ بالمظهر الجسدي اللائق النظيف اتقانا مبرما"**2**ـ وعن حلقات الذكر التي تعتبر وسيلة لإنفصال الذات عن كل موضوع خارجي، انطلاقتها تمثيلة جسدية جماعية تتم باللسان قبل القلب، وعن قرائتنا للرقص الصوفي ودوره في تنشيط القلب، والسماع الذي تلذذته حاسة الأذن واستخدمته كأدات لإثارة العشق الإلاهي هي أمور وممارسات جسدية بإيعاز من الروح ، ليصبح الجسد هنا طوع بنانها وتحت سلطتها فطرب لطربها وهز بطلب منها، إذن العرفان الصوفي ليس إدراك روحي فقط وإنما هو عمل جسدي يعمق من كيان الروح ويشحذ إرادتها لمعرفة حقيقة ذات الله.

1-- الخوري فؤاد اسحاق ،ايديولوجيا الجسد-رموزية الطهارة والنجاسة-دار الساقي ،بيروت،ط *1*،*1997*، ص *20*

2- المرجع نفسه،ص 21.

نظرة ختامية

ومن خلال هذا العرض السريع يمكن القول أن التجربة الذوقية لا تحصل إلا إذا تجاوز العرفان الصوفي حدود الثنائية التقليدية التي تقيم تعارضا بين الجسد والروح لأن الروح لايمكنه أن يعبر عن أي مضمون من المضامين الصوفية إلا إذا اتصل بالجسد، وبالرغم من أن هذا الأخير له أبعاد نقدية ولكن لايمكننا أن نغفل النظر عن تلك العلاقة القائمة بين القوى الروحية والقوى الجسدية، ويتضح ذلك من خلال عدة تجليات دينية، مثلا التهيؤ للصلاة بالوضوء في الإسلام إنما يحول الوضع الفيزيقي للجسد وضعا روحيا، وكذلك الصوم فهو ضرب من ضروب الحمية (الريجيم) سعيا لإكتساب الصحة والعافية والشكل الحسن، كذلك الطهارة والنجاسة، لا يمكن التعبير عنهما إلا بالمظاهر الجسدية بغض النظر عن مدى الأوضاع الروحية التي تعكسها، إن مناجات الصوفي للحقيقة القصوى في حقيقة أمرها ماهي إلا مناجات جسدية تقوم بتهيئة النفس الانسانية للوصول إلى مرحلة كمالية وللاتصال بعالمها العلوي، يتضح لنا من خلال ما سبق ذكره أنه على الرغم من الاختلاف الموجود بين الجسد والروح من حيث الطبيعة والمصدر إلا أنه يمكن التوفيق بينهما في النتائج.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أحمد محمود الجزار،قضايا وشخصيات صوفية ، منشأة المعارف، الإسكندرية،دط، 2001.

3- الموسوي ضياء مجيد، غاية التصوف وأدوات المتصوف، مؤسسة كنوز الحكمة، دط، 2001

4- مراد وهبة، يوسف كرم،المعجم الفلسفي عربي إنجليزي فرنسي، دار الثقافة الجديدة للطباعة والنشر و التوزيع،ط 2، 1971

5- مرا وهبه،المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، س 2007.

6- عبد الفتاح أحمد فؤاد،عبدالقادر الجيلاني ،شيخ كبير من صلحاء الإسلام ،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،دارا لثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،المغرب،ط 1، 1993

7- محمد جلال أشرف ،دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات و مذاهب،دار النهضة للنشر والتوزيع،بيروت،دط، 1987.

8- فاروق عبد المعطي،نصوص ومصطلحات فلسفية ، دار الكتب العلمية،بيروت ،ط 1، س 1993.

9- عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم ،المذاهب الصوفية و مدارسها ،مكتبة مدبولي ،دط،دس.

10- زيدان يوسف محمد طه،الطريق الصوفي،دار الجيل،بيروت،ط 1، 1991

النجار عامر، التصوف النفسي، الهيئة المصرية العامة،دط، 2002 -11

.محمود عبد الحليم ، قضية التصوف المدرسة الشادلية،دار المعارف ، ط 2،1988 -12

الخوري فؤاد اسحاق ،ايديولوجيا الجسد-رموزية الطهارة والنجاسة-دار الساقي ،بيروت،ط 1،1997 -13

الليث صالح محمد عتوم،الفكر الانساني عند ابن سينا وابن طفيل،عالم الكتب الحديث،الأردن، ط 1،س 2014، ص -14
227.